مطالب الشرق

قرأنا في مجلة « العالم اليوم » الانكليزية مقالة قيّمة للدكتور جوزف هول وصف فيها شكوى الشعوب الشرقية من السيطرة الاجنبية . وهو رحّالة ومؤلف مشهور وقد طاف في اسيا مراراً وله من المؤلفات « تاريخ الصين » و« ثورة اسيا » « وبلاد بوذا » وكان من اركان الحرب مع الجنرال الصيني يوپاي فو . وقد عاد حديثاً من اسيا بعد ان حادث زعماء شعوبها من الاستانة الى طوكيو ووقف على ما يجول في نفوسهم نحو حكومات اوربا واميركا فرأينا ان نقتطف من مقالته ما منهُ فائدة لقراء المقتطف وجعلنا عنوان ما اقتطفناهُ « مطالب الشرق » لان هذا مفاد مقالته

بدأ مقالتهُ بقوله ان الاوربي الذي يسير في اسيا الآن مسافة عشرين الف ميل من يوكاهاما الى القسطنطينية ومن كنتون الى القاهرة ويقف على احوالها بنفسهِ لا يستطيع الاّ ان يصارح اهل بلادهِ بما رآهُ وسمعهُ من غير ان يقال عنهُ انهُ من المرجفين

ليس من المرجح ان شعوب اسيا تتضافر الآن على محاربة الامم الاوربية ولكن من المرجح ان ما يحرجها ويدفعها الى ذلك من السيطرة الاوربية اذا استمرّ على ما هو عليهِ الآن سوف يحملها على الاتحاد وابطال هذه السيطرة ولو اضطرّت ان تقاوم القوة بالقوة. وكل الذين حادثتهم من مواطني الدين في الشرق وتدعوهم وظائفهم الى تأييد سلطة الغرب بوجه من الوجوه يرون رأيي - فمن الصين الى تركيا وجدت الناس كلهم على رأي واحد متجهة جهودهم الى التخلص من سيطرة الاجانب عليهم يقودهم الى ذلك زعماء اقوياء. ولعلهم لا ينالون مبتغاهم في هذه السنة ولا بعد سنين قليلة ولعلهم لا يحاولون نيلهُ بالقوة الآن ولكنني متأكد انهم لا ينفكون عن السعي الى نيلهِ ولاسيما اذا ظلوا يرون ما يحرجهم من معاملة الاجانب لهم

للحرب الثائرة الآن في الصين شأن كبير جدًّا لا من حيث تقلّب فريق من الصينيين على فريق آخر ولا من حيث ما يقتل فيها من النفوس ويخرب من البلاد بل من حيث انها احيت في الصين روحاً جديداً روحاً كانت الدلائل كلها تدل على ان الصين خالية منهُ وهو روح الوطنية اي اعلاء شأن الوطن والدفاع عنهُ . وقد رأيت التجار بين مشتركين كلهم في ذلك ومتفقين عليهِ مهما اختلفوا في سائر الامور. فان الصينيين المشهورين

يجب السكينة والبعد عن الخصومات جرياً على وصايا فيلسوفهم الاكبر كنفوشيوس صاروا الآن اهل حرب وجلاد خاصتهم وعامتهم رجالاً ونساء واتفقوا كلهم على رفض السيطرة الاجنبية ومقاومتها بالقوة حتى سفراؤهم الذين يفطرون ان يجاملوا لم يسعهم الاَّ ان يجاهروا بهذه المقاومة . مثال ذلك ان سفيرهم في اميركا وهو من خريجي جامعة كورنل الاميركية ومن الحزب المحافظ في الصين قال ما ترجمتهُ : —

« ان الشعب الصيني متأكد انهُ من السخافة ان ينتظر بلوغ امانيهِ القومية بالوسائل السلمية اي ان يقنع الدول الاوربية بمسالمتهِ لها قبلما تغيّر المعاهدات التي بينها وبينهُ . لانهُ عالم تمام العلم ان ما يطلبهُ حق وعدل وهو مستعد لكل تضحية في سبيل الحصول عليهِ »

واستطرد الكاتب الى ما رآهُ في سيام وانام وبرما وجاوة وجزائر فيليبين وممالك الهند وافغانستان وايران وتركيا والشام والعراق وتونس والجزائر وقال انها كلها متفقة على الرغبة في ابعاد السيطرة الاجنبية عنها . ومن رأيهِ ان بريطانيا ادركت هذا الامر ولذلك قال وزير مستعمراتها حديثاً « لسنا ذاهبين لمحاربة الصين فان آخر ما يفعلهُ الانسان ان يقتل زبائنهُ »

وخلاصة ما نستنتجهُ من مقالة الدكتور هول انهُ يجب على فرنسا وايطاليا وهولندا ان تحذو حذو انكلترا وتعامل شعوب الشرق الخاضعة لها معاملة المواطن للمواطن والصديق للصديق والاَّ فالعاقبة وبيلة وما كان يسهل احتمالهُ والرضا بهِ منذ خمسين سنة صارت النفوس تأباهُ الآن حتى يصدق على كثير من ابنائها ما قالهُ الشاعر الاميركي مركام في قصيدة موضوعها رجل في يدهِ رفش يقلب بهِ الارض وقد ترجمناها شعراً ونشرناها في المجلد الحادي والثلاثين من المقتطف وهذا نصها

على عاتقيهِ رزايا الدهورِ فلا تعجبنَّ لظهر حُنِي
رزايا ازالت نضارة وجهِ فلا يُستَفزَّ ولا يثنني
فاين السرور واين الرجاء وكل بهيج ومستحسنِ
واين الهموم واين الغموم وكل شعور بها قد فني
فمن درسهِ فيهِ مسموم الخمولِ واطفأ منهُ الضياء السني

اهذا براهُ اله البرايا ومن قاس ذا الكون شبراً فشبرا
اهذا خلاصة كل الوجودِ عميد الخلائق برًّا وبحرا

امامُ العلومِ ومحصي النجوم ... وجالي الغوامضِ بطناً وظهرا
اهـذا غناهُ اله السماء ... اهذا قضاهُ فاحكم امرا

بوجهٍ كئيبٍ وظهرٍ حديبٍ ... وعقلٍ عقيمٍ ورأيٍ سقيمٍ
خلاصة ظلمٍ وزبدة غُرمٍ ... وعنوان كل صنيعٍ أثيمٍ
ولكنَّ في الصخرِ ناراً وفيهِ ... بوادر شرٍّ وهمٍّ مقيمٍ
ولا بدَّ للنارِ ما تلتظي ... وللشرِّ عقبى لكل ظلومٍ

فاين الملائك منهُ وقد صا ... ر عبداً لفرش وعبداً لفاسِ
واين العلوم واين الفنون ... مبادي الحساب وحكم القياسِ
جمالُ الرياض وظل الفياض ... ومجمع الطيور وحب الاناسِ
عصور المظالم فيهِ تجلَّت ... وقد شاب فوداهُ مما يقاسي

عظام من الظلم لانت فأضَّت ... جموع من الجور باتت تنادي
ملوكَ الانام قضاةَ الزمانِ ... بماذا تجيبونَ يوم المعادِ
اهـذا وديعة ربِّ السماء ... بهيت على مثل شوك القتادِ
بجسم ضئيل ووجه كئيب ... رفيق الوحوش حليف السهادِ

بماذا يقوِّم ظهر حناهُ ... بماذا تنيرون وجهاً عبوسا
واي فؤادٍ يلاقي سروراً ... ولم يلقَ في العمر الاَّ ضرسا
بماذا تزيلون ذكر المخازي ... وقد عمَّت الارض من قبل موسى
مخازٍ توالت وعمَّت فصارت ... على اللحم دوداً وفي العظم سوسا

ملوكَ الانام قضاةَ الزمانِ ... اتدرون ماذا يقول الزمانُ
بماذا يجيب اذا القوم ثاروا ... فثاروا العروش وجاروا وثانوا
بماذا يجيب اذا الناس قاموا ... وعادوا الى الله حتى يدانوا
ونادام الحقُّ تولوا فقالوا ... وحلَّ من الصمت هذا اللسانُ

ولكن الشعوب لا تنتظر يوم الدينونة ولاسيما الشعوب الشرقية التي رأت قيام اليابان وفوزها وستري قريباً فوز الصين في نهضتها. فعسى ان يرى المسيطرون هذه الحقيقة ويعملوا بها